20030413-0037-م

إدغار يزبك يجمع أرشيفها صوتاً وصورة وكتابات
حرب لبنان من المعابر والخنادق إلى رفوف مكتبة

لم يلملم اللبنانيون نتائج حرب ١٣ نيسان وتداعياتها بعد، وهم ما زالوا يعيشون ذيولها على المستويات كلها. لملم اللبنانيون فقط المظاهر المأسوية للحرب: الدّمار، الأسلحة (ولو في شكل مجتزأ)، أخفوا معالم الشّهداء وتمثالهم في الطليعة، لملموا الذّاكرة التي حفلت بالمآسي الغنية بالعبر وقذفوها الى النسيان... لكنّهم لم يعتبروا.

بعض اللبنانيين يرفضون جعل الحرب التي عاشوها بويلاتها وتناقضاتها وأخطائها "تحفة" للتاريخ، ويرومون استعادتها يوميّا ليس حبا بها، بل للإعتبار منها واستذكارها، هي التي شكّلت خبزهم اليومي لأعوام طويلة وجزءا من ذاكرتهم يأبون أن يضربها الضّعف.

إدغار يزبك، الشاب إبن الـ٣١ عاما، ينتمي إلى أولئك الذين عاشوا الحرب بظروفها في حدّها الأقصى، رغم أنّه لم يسع الى ذلك. لكنّه شأن أبناء جيله جرفته الحرب في تيّارها من حيث لا يدري.

إدغار أو "إيدي" كما يناديه أصدقاؤه صاحب هواية فريدة من نوعها، فهو يهوى جمع كلّ ما يمتّ الى الحرب بصلة فكريّة وتأريخية فقط، فيجمع من هنا وهنالك أرشيف الحرب اللبنانية بأبعادها كلّها: صوتا، وصورة، وكتابة.

يجلس إدغار لساعات وراء شاشة الكومبيوتر يمحّص في مواقع شبكة الإنترنت التي تتناول الحرب، يؤرشف الصّور ويعمل على نوعيتها، ويعنونها، ويحتفظ بها كنزا ثمينا.

يتحدّث إدغار عن هوايته، بينما هو غارق في العمل على صور عن حرب الأسواق، معتبرا أنّ وراءها هدف "التشبّث بالذاكرة وعدم نسيان الأخطاء التي اقترفناها طيلة أعوام، وبغية المشاركة في طريقة أفعل في الحرب المقبلة وهي لن تكون بالأسلحة طبعا إنما ستكون من أجل بناء مجتمعنا ووطننا".

لا ينسى إدغار الحرب رغم انتهائها منذ العام ١٩٩١، ويشعر بالذنب إن نسي الرّفاق الذين قاتل الى جانبهم ومنهم من مات على يديه، ومنهم من لا يزال مصابا لغاية اليوم. النسيان، في نظره، جريمة يرتكبها في حقّ هؤلاء،"كثيرا ما آخذ مجموعة من الشباب الصّغار في السّن الى ساحات القتال السابقة والجبهات القديمة وأعدد لهم أسماء رفاق لي رحلوا عن هذه الدّنيا في سبيل وطنهم".

مكتبة يزبك الخاصة تزخر بوثائق وصور وأفلام فيديو نادرة عن الحرب اللبنانية عبر نظرة مختلف الأفرقاء الذين شاركوا فيها. ومن الكتب التي نعثر عليها على طاولته واحد أصدره الحزب التقدّمي الإشتراكي ثمّ سحبه من الأسواق بعنوان "حرب الجبل في لبنان، دفاعا عن الوجود والكرامة". ويزخر بصور الجثث والقتلى. وإن كان للحرب من وجه مضحك، فثمّة صورة طريفة جدّا في الكتاب تمثّل مقاتلا إشتراكيا "يمضغ" صورة رئيس الجمهورية الراحل الشيخ بشير الجميل. وفي الكتاب صور لنساء مقاتلات.

يقول إدغار انّ حرب الجبل تمثّل له المرحلة الأكثر أهمية في تاريخ الحرب اللبنانية نظرا الى انتمائه الى قرية رمحالا:" في تلك المرحلة هربت عائلتي الى دير القمر، وكنت صغيرا لكنني أعلم اليوم أن المسيحيين كتبوا آنذاك تاريخهم بالدّم وهم قاتلوا لآخر لحظة، ولم يتخاذلوا، لقد خسروا الحرب لكنّهم لم يهربوا".

أفلام كثيرة لدى إدغار عن حرب الأسواق، وفي أحدها يظهر أبو جهاد وهو يترجّل من سيارة ويختبئ في إحدى البنايات بينما تلاحقه نيران القناصين.

لا يتردد إدغار في دفع مبالغ طائلة لقاء شراء وثيقة أو كتاب نادر أو صورة أو مجلات قديمة كانت تصدر زمن الحرب، وقد رأينا منها على سبيل المثال لا الحصر مجلات "الشعب المسيحي"، "الوعد"، و"العمل" التي كانت تصدر إستثنائيا في عيد حزب الكتائب.

أكثر من ٢٠٠٠ صورة نادرة عن الحرب جمعها إدغار عبر إبحاره في شبكة الإنترنت، بالإضافة الى ٢٠٠ صورة فوتوغرافية. ومن الصّور التي تمثّل وحشية الحرب واحدة لمجزرة في الدامور حيث نرى عائلة مؤلّفة من خمسة أفراد تُقتل على يد المسلّحين، وصورة أخرى عن مجزرة رويسات مجدليا في قضاء عاليه "التي قتل فيها ٣٠ مدنيا مسيحيا ودفنوا في صندوق خشبي كبير وضع في منزل في القرية، ولا يزال لغاية اليوم ولا أحد يجرؤ على فتحه أو نقله"، حسب رواية يزبك.

ومن المواقع المفيدة التي اكتشفها يزبك :

www.geocities.com/CapitolHill/Parliament/2587/war.html
www.al-massar.com/indexAr.htm
www.almashriq.hiof.no/ddc/projects/jafet/posters/index/html
www.stavrotoons.com

يفكّر إدغار بعد أن يجمع عددا وافرا من الصور والوثائق عن ذاكرة الحرب أن ينظم معرضا يخلّد فيه الشهداء الذين سقطوا فيها، وهو لهذه الغاية يجمع ايضا بعض البزّات القتالية، والقبّعات، والبينزات، والأوسمة الحزبية، والملصقات لمختلف الأحزاب اللبنانية، وهو لا يتردد في البحث عن مقاتلين سابقين ويطلب إليهم كتابة ذكرياتهم عن الحرب لتكون عبرة للأجيال الشابّة.

نادرة هي الأشياء التي يجمعها هذا الشاب الذي لا يرغب البتّة في الإنسلاخ عن جزء من حياته ربّما فُرض عليه فرضا لكنّه طبعه في أعماقه: "الذّاكرة هي أهمّ ما نحتفظ به من الحرب، والنسيان خيانة للشهداء والقضيّة والوطن"، هذا ما يؤمن به ادغار الذي اختار أن ينقل الحرب من الساحات والمعابر والخنادق الى رفوف مكتبته ليجمع عدّتها وادواتها وصورها ويضعها في خدمة من يرغب في استلهام العبر من تاريخه.

مارلين خليفة

يزبك

استراحة محاربين

من ملصقات الحرب